تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

برنامج

في رحاب القرآن –64

مقدمة البرنامج .....

مؤثرات .....

محمد : بسم الله الرحمن الرحيم وبعد : فقد تحدثنا في ندوتنا السابقة عن دور اليهود في تنظيم المؤامرات ضد الدعوة الإسلامية منذ بواكيرها الأولى ... وعلمنا أن جدلاً عقيماً قد ميز الجهود اليهودية التخريبية .. وكان مما قررناه أيضا أن بعض اليهود دخل في الإسلام وأدخل معه تأويلات وشروحاً نابعة من تراث ثقافي وديني حرفت فيه كلمات الله وأضيفت إليه حكايات أسطورية تعرف بالاسرائيليات ..

صالح : هل تقصد من هذا التمهيد إلى تقرير أن الثغرة التي تسللت منها الاسرائيليات هي التي تتمثل فيما أجمله القرآن من قصص الأنبياء وحدثنا عنه رغبة في ابراز موضع العبرة من هذه القصص ؟

محمد : طبعاً يا بني .. ولعلي لا أحتاج للعودة إلى موضوع القصص في كتاب الله .. فقد علمتم أنه فن من التعبير يستقل به كتاب الله وينفرد بأسلوبه لا يشاركه فيه كتاب أو مذهب من مذاهب التعبير ..

سعيد : ومما يلفت النظر أن في هذه الاسرائيليات محاولات تصف مشاهد ووقائع هي من الغيوب التي ينفرد الله عز وجل بعلمها .. ولو لا هذه الاسرائيليات ما كان المسلمون يخوضون الحديث عنها أبدا ..

جاسم : أرجو ألا يكون فيما قررته من الرأي أو وافقت عليه يا أستاذ **محمد** ما يحمل اللوم إلى المسلمين الذين تأثروا بهذه الاسرائيليات ؟

محمد : يا **جاسم** أنا هنا لست في مركز الحكم الذي يحتكم اليه في مثل هذا الموضوع . إنني أقرر أمراً واقعاً وألقي ضوءاً على ظاهرة تاريخية لا يسعنا أن نتجاهلها أبدا .. إن الشيء الثابت أن المسلمين الأولين قد تأثروا بما في حكايات اليهود وتأويلاتهم من جاذبية وتفصيلات مثيرة .

صالح : والثابت أيضاً أنهم يجب أن يكونوا قد غفلوا عما دس عليهم وهم يفسرون القرآن من اسطوريات تسيء إلى فهمهم لكتاب الله ..

سعيد : والأعجب من هذا كله أن الاسرائيليات اليهودية قد راجت وانتشرت في الأوساط الإسلامية رغم أن القرآن قد ندد بمزاعم اليهود وتقولاتهم وتحريفاتهم التي أدخلوها على التوراة ..

جاسم : هذه حقيقة شاهدة .. نعم يا أستاذ **محمد** إن ما يقرره زميلي **سعيد** صحيح .. مما جاء في كتاب الله حول هذا المعنى قوله تبارك وتعالى في سورة البقرة : " أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "..

نقلة موسيقية .....

الراوي (1) : وينتقل الكلام إلى الأستاذ المحاضر فيقول : أصبتم يا أبنائي .. إن تحذير الوحي السماوي من تحريفات أهل الكتاب لما جاء على السنة أنبيائهم واضح وضوح الشمس في رابعة النهار .. ولو شئنا إحصاء الآيات القرآنية التي تنبه إلى ظاهرة التحريف هذه لوجدنا الشيء الكثير .

الراوي (2) : ويمضي قائلاً : ولذلك فإنني أقتصر على إضافة نص أو نصين من كتاب الله تأييداً لما جاء على ألسنتكم .. ها هو عز وجل يقول في سورة البقرة أيضاً : " وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ(78)فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79)"..

الراوي (1) : ثم يتلو نصاً آخر من سورة آل عمران جاء فيه قوله تبارك وتعالى : " وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "..

الراوي (2) : ويقرر الأستاذ **محمد** من بعد : أن العامة من الناس هم الذين يميلون إلى مثل هذا القصص بسبب من جاذبيته من ناحية وبسبب من ظنهم بأن تصديقهم لهذه الاسرائيليات داخل في جملة تصديقهم بالأديان السماوية السابقة . وهم ينسون أن هذه القصص الدخيلة ليست من الأديان السماوية السابقة في كثير أو قليل ..

الراوي (1): ثم ينهي كلامه قائلاً : وقد يظن بعضنا أن في وسع العامة التمييز بين ما هو من التوراة الصحيحة وما هو من مفتريات اليهودية .. والحقيقة أن التمييز متعذر . وليس هذا وحسب فإن الالتباس لم يغلب على العامة فقط بل ظهرت مرويات من هذه الاسرائيليات منسوبة إلى صحابة يتحرج المسلم من اتهامهم ..

الراوي (2) : ويضيف قائلاً : والجدير بالذكر أن بعض هذه الاسرائيليات قد كان لها مكانها في كتب التفسير وتمتعت بالحرمة والمهابة ثم قوي تأثيرها بمرور الزمن عند بعض المسلمين فلم يتحرروا منها حتى اليوم ..

نقلة موسيقية ..

صالح : جاء فيما قررته لنا يا أستاذ **محمد** أن في التوراة ما يمكن أن نستعين به من القصص اذا توفرت لنا القدرة على التمييز ، فهل هذا هو ما تقصد إليه ؟ وهل في وسعنا حقاً أن نجد في التوراة قصصاً صادقاً ؟

محمد : يا **صالح** .. أنت في غير حاجة لتوجيه مثل هذا السؤال ..

صالح : ولماذا ؟

محمد : لأنك تعلم أن القرآن جاء مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل كما جاء في الوقت نفسه بديلاً عنهما وناسخاً لبعض ما جاء فيهما . فما هو صحيح فيهما جاء به القرآن وما أدخل عليهما فقد أهمله القرآن .. وعلى ذلك لا يحل لنا أن نعود إلى النصوص الحالية في التوراة أو الإنجيل ..

سعيد : هل لك أن تزيدنا إيضاحاً؟

محمد : طبعاً يا بني .. الصحيح من التوراة والإنجيل نجده في القرآن .. والمنسوخ من التوراة والإنجيل لا يجوز أن نستعين به لتفسير القرآن .. أما ما أدخل عليهما من التحريفات فهو مردود كما تعلمون ..

جاسم : وهل يمنع هذا الرأي من قراءة النصوص في الكتب السماوية السابقة ؟

محمد : أبداً يا **جاسم** .. المهم هو الا نستعين بها لتفسير أي نص من القرآن ..

جاسم : حسن جداً .. واذاً فإن في وسعنا أن نقرر في ضوء ما سمعناه منك أن القرآن قد خاطب البشرية باعتباره خاتم الكتب السماوية بأسلوب قد لا يلائم العقليات القديمة في العصور الخالية ..

محمد : الشيء الطبيعي يا **جاسم** أن القرآن كتاب سماوي جاء للعالمين من كل جنس ولون ولك من الإنس والجن أيضاً .. أما الكتب السماوية السابقة فقد جاءت لأقوام بعينهم .. فلا عجب من بعد أن يكون الأسلوب

القرآني بما فيه من قصص وبما يتميز به من طرائق في العرض مختلفاً عن الأسلوب المتبع في كتب سماوية سابقة .. أضف إلى ذلك أن هناك أحكاماً جاءت تحل أو تحرم قد نسخت في القرآن ..

صالح : أستاذي الكريم إننا إذ نشكرك على كل هذه الإيضاحات نتمنى عليك أن تلقي لنا ضوءاً على جملة التفاسير القرآنية التي وضعت على امتداد القرون .

سعيد : وبمعنى آخر هل نستطيع أن نصنف كتب التفسير ، وهي كثيرة جداً ، بحيث نميز بين ما يصلح منها وما لا يصلح لهذا العصر ؟

محمد : الحق يا أبنائي أن رقعة العالم الإسلامي كانت وما تزال من الاتساع بحيث أنها كانت وما تزال أيضاً تمثل ألواناً من الثقافات المختلفة وتخضع لعصبيات مذهبية وسياسية وتتأثر باتجاهات إقليمية .. وهذا يعني تبايناً في الأذواق واختلافاً في العقليات والأوضاع الاجتمايعة والأمزجة الشخصية ..

جاسم : وهل تباينت التفاسير واختلفت بتباين هذه العقليات والأذواق والأوضاع الاجتماعية ؟

محمد : إن في وسعك يا **جاسم** أن تجد الجواب في نص من كتاب الاتقان في علوم القرآن للجلال السيوطي جاء فيه قوله وهو يتحدث عن أنواع المفسرين هناك " خلائق اختصروا الأسانيد والتي ترفع المرويات فيها إلى الأئمة ونقلوا الأقوال تترى . فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل . ثم صار كل من يصبح له قول يورده ، ومن يخطر بباله شيء يعتمده .. ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ، ظاناً أن له أصلاً ، غير ملتفت إلى ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع إليهم في التفسير "..

صالح : هذا كلام صريح يدعو إلى تصنيف كتب التفسير ويطالب بالعودة إلى ما ورد أكيداً عن السلف الصالح وإلى التقاة من المفسرين ..

محمد : هذا صحيح ...

سعيد : وفي وسعنا أن نضيف إلى كلام الجلال السيوطي بأن باب التفسير مفتوح لمن توفرت له الشروط اللازمة..

محمد : طبعاً يا بني ..

جاسم : إذا كان الأمر كذلك فما هي الشروط التي يجب أن تتوفر للمفسر الصالح والموثوق ؟

محمد : إن الشرط الأول يا أبنائي هو الدراية بالعربية ؟ فمن لم يكن عالما بأسرارها مدركاً لعلومها المختلفة لا يصلح للتفسير أبداً .. ويروي في هذا المعنى قول للإمام مالك بن أنس رحمه الله جاء فيه : " لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً "..

جاسم : هذا يعني أن المفسرين من السلف كانوا من علماء العربية والعارفين بأسرارها ؟

محمد : طبعاً يا **جاسم** .. ولو لم يكونوا كذلك ما صلحوا لتفسير القرآن ..

صالح : حسن جداً .. ولكن أليست هناك شروط أخرى ؟

محمد : طبعاً يا **صالح** .. هناك العلم باسباب النزول والناسخ والمنسوخ ثم العلم بالحديث النبوي الشريف وأخيراً الاطلاع الواسع على أيام الإسلام ولا سيما أيام الأجيال الأولى وبصورة أخص سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ..

سعيد : هل نستطيع بعد هذا كله أن نقول إن علم التفسير قد توصل عند الأئمة من أصحابه إلى التحرر من كل الاسرائيليات المدخولة عليه ؟! ..

محمد : الحقيقة يا **سعيد** أن الاسرائيليات ما تزال مندسة في بعض كتب التفسير .. لقد تلقى عصرنا هذا التراث التفسيري العظيم بكل ما فيه من أفكار سليمة ومواقف حكيمة مستمدة من رؤية إسلامية صالحة وما فيه أيضاً من شوائب غريبة مقحمة ..

صالح : ألا ترى أن تحرير التفسير من الشوائب في عصرنا هذا هو ضرورة أولية ؟

محمد : بالطبع يا **صالح** .. شرط أن يتولى هذه المهمة رجال تتوفر لهم المعرفة والخبرة والفهم السليم والقدرة على استيعاب كل العلوم الخاصة بكتاب الله ..

سعيد : وما هو رأيك فيما يطلق عليه اليوم اسم " الأسلوب العلمي " ؟

محمد : إذا كان الأسلوب العلمي هو الذي يشترط توفر المعارف والقدرات العقلية التي ذكرتها لكم من قبل فهو ضروري لتفسير كتاب الله .. أما إذا كان المقصود من اشتراط الأسلوب العلمي السماح لكل إنسان أن يخوض في هذا العلم بدعوى أن القرآن كتاب للعالمين دون استثناء فهو مرفوض يا **سعيد** ..

جاسم : هل يعني هذا أنك ترفض أن يقدم طبيب أو مهندس زراعي أو عالم طبيعي على تفسير القرآن ؟!

محمد : كلا يا **جاسم** إلا إذا كان هذا العالم أو الطبيب أو المهندس عارياً من العلوم المشروطة للتفسير الصالح؟ .. ومهما يكن الأمر فإن فهمنا لكتاب الله لا يكفي فيه نقل ما عند الأولين وحسب بل يجب أن نتقن ما كانوا يتقنونه وأن نضيف إليه علوم العصر ومكتشفاته وبذلك نستطيع أن نكتشف في كتاب الله من المعاني ما يكمل رؤيتنا الحقيقية للإسلام وما يجعلنا جديرين بانتزاع المبادرة في بناء حضارة إسلامية صحيحة ..

صالح : وهل تعتقد أن المسلمين المعاصرين قد بدأوا يضعون التفاسير المتحررة من الشوائب والاسرائيليات الدخيلة ؟

محمد : الثابت يا **صالح** أن المسلمين فى هذا القرن قد بدأوا فعلاً بوضع محاولات تفسيرية فيها جهد وعلم .. ولعل من الخير أن نلقي ضوءاً سريعاً على هذا الفصل من علومنا الإسلامية في ندوتنا التالية إن شاء الله ..

موسيقى نهاية .....